ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Metaphorical Purposes of Command and Prohibition Mohammed bin Hazim al-Bahili's Poetry (d.195AD)

wisam qasim mohammed

university of Kirkuk – college for the women

* *Corresponding author: E-mail* :
wisamqasim@ukirkuk.edu.iq
07703727538

Keywords:
Metaphorical purposes
order and inhibition
request method

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 30 Jun 2024
Received in revised form 6 July 2024
Accepted 6 July 2024
Final Proofreading 26 Aug 2025
Available online 26 Aug 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This research addresses an important aspect of literary study, which aims to delve into the sea of meaning resulting of the grammatical methods whose foundation were laid by Abd al-Qaher al-Jurjani in his book *Dalail al-Ijas* "The Proof of Mircles", with his well-known theory of al-nadhm (parody). These diverse meanings are mentioned when the speaker takes into account the situation in which he issues the speech, so that it is at a high level of eloquence, with a strong and profound impact when it touches the listener, because it came at the appropriate time in joy or sadness, in praise or completion. Among the grammatical methods that carry rhetorical meanings are the methods of command and prohibition, such as supplication, guidance, warning, both of these methods carry the meaning of superiority in the request. This research examines the collection of the poet Muhammad ibn Hazim al- Bahili. This poetry collection containes the methods of command and prohibition directed at others with different purposes. We identified the most important metaphorical meaning that represented the goal sought by the speaker behind his superficial (apparent) speech . Among the most prominent of these meanings that we discovered in the poetry of Muhammad ibn Hazim al-Bahili are supplication, advice and guidance, warning, threat and intimidation.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.8.3.2025.02

الأغراض المجازية للأمر والنهي في شعرِ محمد بن حازم الباهليّ (ت 195هـ)

وسام قاسم محمد/ جامعة كركوك _ كلية التربية للبنات

الخلاصة:

يتخذ هذا البحث جانبًا مهمًا من جوانب الدراسة الأدبية التي من شأنها الغوص في بحر المعاني الناتجة من الأساليب النحوية التي أرسى أركانها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بنظريته المعروفة (النظم). وترد هذه المعاني المتنوعة حينما يراعي المتكلم المقام الذي يصدر في وقته الخطاب حتى يكون في درجة عالية من البلاغة تؤثر تأثيرا شديدا وبالغا عندما تلامس آذان سامعها؛ لأنها جاءت

في وقتها المناسب في فرح أو حزن في مدح أو ذم...، ومن الأساليب النحوية التي تحمل معاني بلاغية أسلوبا الأمر والنهي كالدعاء والإرشاد والتحذير...، وهذان الأسلوبان كلاهما يحملان معنى الاستعلاء في الطلب؛ ففي الأمر طلب حصول الفعل وفي النهي كف عن حصول الفعل، وقد غصنا في ديوان الشاعر محمد بن حازم الباهلي وجعلناه منطلقًا لدراسة هذه الأساليب، ذلك الديوان الذي حمل أساليب الأمر والنهي الموجهة للآخر بمقاصد مختلفة، وقد تم الوقوف على أهم المعاني المجازية التي مثلت الهدف الذي ينشده المتكلم وراء كلامه السطحي(الظاهر)، ومن أبرز تلك المعاني التي اكتشفناها في شعر محمد بن حازم الباهلي: الدعاء، النصح والإرشاد، والتحذير والوعيد والتهديد.

الكلمات المفتاحية: الأغراض المجازية، الأمر والنهي، أساليب الطلب.

المقدمة

إنّ الأمر والنهي يحملان معنى الاستعلاء والتسلط في الطلب، ولكنهما قد يضمران معنى مجازيًا باطنًا. وهما يدخلان تحت مسمّى الإنشاء الطلبي الذي يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، فالأمر طلب لفعل الشيء، والنهي يمثل الكف عن الفعل.

فرضية البحث:

الوقوف على أسلوبي الأمر والنهي بكشف المعاني التي يتضمنها هذان الأسلوبان، فكان العمل بأخذ نماذج من الأشعار وتحليل معانيها المنشودة، فضلًا عن مراعاة السياق اللغوي والمقامي في ذلك.

أسئلة البحث:

ما الأغراض المجازية؟ وما الغاية من ذكرها؟ ، ما المناسبة التي قيلت فيها؟ وأي الأغراض أكثر حضورًا من غيرها في الأبيات الشعرية؟.

الدراسات السابقة:

وأما الدراسات السابقة فهي كثيرة، ومنها: بحث بعنوان: دلالة أسلوب الأمر والنهي في شعر البحتري، عبد الكريم متعب، ورسالة بعنوان: أساليب الطلب في شعر الفقهاء والنساك في العصر الأموي، فاطمة داود 2011م.

أهمية البحث:

وتبرز أهمية البحث في كشف الغايات التي تختفي وراء الكلام الظاهري؛ وذلك ما يعطي الكلام الأهمية الكبيرة لتتبعه، وفي دراستنا نميز بين ما هو حقيقي وما هو مجازي.

منهجية البحث:

قمنا باستخراج الشواهد وصنفناها على وفق الأغراض، ثم تم أخذ الأغراض الأكثر بروزاً، وقد اعتمدنا المنهج التحليلي الذي نفكك عن طريقه النصوص ونكشف خباياها.

أسلوبا الأمر والنهي

الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء

مع الالزام. وله أربع صيغ:

(1) فعل الأمر – كقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ (مريم: 12)

(2) والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقولنا: ليتجنب كل منكم الشرّ.

(3) واسم فعل الأمر، نحو: عليكم بالصدق.

(4) والمصدر النائب على فعل الأمر – نحو سعياً في سبيل الخير. (القزويني، 1982م، صفحة 82/3) .

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والالزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الاحوال:

_ الدعاء: ربّ يسر أمري.

_ والالتماس كقولك لمن يساويك – أعطني القلم أيها الأخ.

– النصح والإرشاد: وهو الطلب الذى لا إلزام فيه وإنّما النصيحة الخالصة، كقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ (البقرة: 282)

– الإباحة: خذوا ما شئتم من الطعام.

– التعجيز: وهو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى:﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ) (الرحمن: 33)

– التهديد: كقوله تعالى:(ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ (فصّلت: 40)

– التسوية: خذوا المال أو لا تأخذوه، فأنا لا حاجة لي به.

الإهانة: كقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ (الدخان: 49)

– التسخير: هو التذليل والإهانة، كقوله تعالى: (كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ) (البقرة 65) ، ويسميه ابن فارس «التكوين».

– الاحتقار: كقوله تعالى: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ (يونس:80)

وبعضهم يجمع الإهانة والاحتقار.

– التسليم: كقوله تعالى:﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٖۖ﴾ (طه 72)

– الندب: كقوله تعالى:(فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الجمعة:10).

– التلهيف والتحسير: كقوله تعالى: (قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ) (آل عمران:119)

- الوجوب: وذلك أن يكون أمرا وهو واجب كقوله تعالى:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (البقرة:43).
- الخبر: ويكون أمرا والمعنى خبر كقوله:﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(التوبة: 82).
- الامتنان: كقولك: كلوا من خيري، والظاهر أنّه قسم من الإباحة لكن معه امتنان.
- الاكرام: مثل قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾(الحجر:46)، وهو من الإباحة أيضًا.
- التكوين: كقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾(البقرة:117) ، وهو قريب من التسخير، إلّا أنّ هذا أعم.
- التخيير: كقولك: كل تفاحة أو موزة.
- التكذيب: كقوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ (آل عمران: 93)
- المشورة: كقولك: تمعن في القضية واعطني رأيك.
- الاعتبار: كقوله تعالى:﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ (الأنعام:99) (السبكي، 2003م، صفحة 470).

النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

وللنهى صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ «لا» الناهية الجازمة، نحو: لا تسع وراء الشر، محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط (السكاكي، 1987م، صفحة 318/1).

وقد تخرج هذه الصيغة إلى معان مجازية، يكتسي فيها النهي جمالية في الشعر حين يخرج عن مقتضى الظاهر فيما وقع عليه المنع والصدّ، و منها:

الدعاء: ويكون صادرا من الأدنى إلى الأعلى، كقولك: رَبَّنا لا تحرمنا من عفوك.

الالتماس: ويكون صادرا من أخ إلى أخيه أو صديق إلى صديقه، كقولك لصديقك: لا تتركني لوحدي يا صاحبي.

- التمني: ويكون النهى موجها إلى ما لا يعقل: يا دار تكلمي وأخبريني عما جدث.
- النصح والإرشاد: كقوله ناصحين: لا تتركوا سنة الأولين.
- التهديد: كقولنا لمن لا يمتثل للأمر: «لا تمتثل أمرى».
- التوبيخ: كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

- التحقير: كقول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

- التيئيس: ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ (التوبة:66)
- بيان العاقبة: كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلٗا﴾ (إبراهيم:42)

ويتفق النهي مع الأمر فى: أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء.، وأنّهما يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا لنفسه أو ناهيا لها، وا لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما فى كونه مريدا لهما.

ويختلفان في : أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر، أنّ الأمر دالّ على الطلب، والنهى دالّ على المنع، أنّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره، وأنّ النهى لا بدّ فيه من كراهية منهيه. (التفتازاني، 1411هـ، صفحة 141.139) .

حياة الشاعر

اسمه ونسبه: محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، موالي باهلة، وهذا يعني أنّه غير عربي (مسلمون من غير العرب)، يُكنّى: أبو جعفر (الزركلي، 2002م، صفحة 75/6).

مولده: ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد، ولم تذكر سنة محددّة ليوم ولادته، وقد خمّن صانع الديوان ولادته في سنة (160هـ)، اعتمادًا مراحل حياته، ثم انتقل من البصرة وسكن بغداد ومدح خلفائها (البغدادي، 2002م، صفحة 113.3) .

شاعريته وشعره: قال الشابشتي: وكان محمد بن حازم، أحد الشعراء المطبوعين، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي يجيد كل فن يركبه، يأتي بالمعاني التي تستغلق على غيره (الشابشتي، 1966م، صفحة 61).

وقال عنه ابن المعتز: "وهو أجود الشعراء لفظًا وألطفهم معنى" (المعتز، 1976م، صفحة 309.307).

وأمّا شعره وأكثر شعره في الهجاء و القناعة ومدح التصون وذم الحرص والطمع، ويُذكر أنه" كان شاعرًا هجاءً لمحمد بن حميد الطوسي" (المرزباني، 1982م، صفحة 429) .

فضلًا عن أنه "كان يُظهر القناعة. ويُكثر القولَ فيها وهو أسألُ الخلقِ" (الجراح، د.ت، صفحة 28).

ويذكر صانع الديوان أنّه لم يجد إشارة إلى الديوان سوى ما ذكره ابن النديم أنّ شعره سبعون ورقة، وهذا يشير إلى أنّه لم يكن شاعرًا مقلًّا، وبعد جمع شعره من بطون الكتب وصل إلى أكثر من أربع مئة بيت.

أخباره :

نذكر بعضًا من أخباره التي نقلتها لنا بعض المصادر وأبرزها كتاب الديارات (الشابشتي، 1966م، صفحة 69.67)، ومن ذلك موقفه مع المأمون، قال محمد بن حازم: دخلت على المأمون، فلما مثلت بين يديه، قال: كيف بصرك بأيام الناس وأخبار العرب؟ قلت: أنا على الميدان، فليطلق من عناني! قال: أنشد ما بدا لك. فتركت ما أومأ إليه وعملت في صلاح شأني، وقلت: مجلس خلافةٍ ولست آمن نبوة، فأنشدته (الباهلي، 1982م، صفحة 79):

رزقت عقلاً ولم أُرزق مروءته ... وما المروءة إلا كثرة المال

إذا أردت مساماةً تقاعد بي ... عمّا ينوه باسمي رقّة الـحال

قال المأمون: الشيخ يشكو رقة الحال، فليدفع إليه ألف درهم، وتبسم. فقلت: ما وراء التبسم إلا خير، فأنشدته (الباهلي، 1982م، صفحة 22):

أنت سماءٌ ويدي أرضها ... والأرض قد تأمل غيث السما

فازرع يداً عندي محمودةً ... تحصد بها في الناس حسن الثنا

قال: هذا المعنى أقوى من الأول، وأمر لي بألفي درهم، ثم قال: خدعتني! قلت: قد حضرني بيتان في الخديعة، فقال: وما هما؟ فأنشدته (الباهلي، 1982م، صفحة 70):

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ... فرأيته فيما تروم يسارع

فاعلم بأنك لم تخادع جاهلاً ... إن الكريم بفعله يتخادع

فقال: هما والله أحسن من الأول. وأمر لي بمثل ما أمر به. وسألني أن أنشده، فأنشدته (الباهلي، 1982م، صفحة 91):

لا ترهقنّك ضجرةٌ من سائلٍ ... فلخير دهرك أن ترى مسؤولا

لا تجبهنّ بالمنع وجه مؤمّل ... فبقاء عزّك أن ترى مأمولا

واعلم بأنك عن قليل صائرٌ ... خبراً، فكن خبراً يروق جميلا

يلقى الكريم فيستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا

فقال: لله درك، ما أحسن معانيك! يا غلام، صك له بمثل ما أعطيناه.

وللشاعر مواقف متعددة في الهجاء، وكان يهجو محمد بن حميد الطوسي عتبه يحيى بن أكثم على اختصاره الشعر فقال (الباهلي، 1982م، صفحة 24):

أبي لي أن أطيل الشعر قصدي ... إلى المعنى وعلمي بالصواب

وإيجازي بمختصر قريب ... حذفت به الفضول من الجواب

فابعثهن بمختصر قريب ... حذفت به الفضول من الجواب

فابعثهن أربعة وستا ... مثقفة بألفاظ عذاب

وهن إذا وسمت بهن قوما ... كأطواق الحمايم في الرقاب

وهن وإن أقمت ما فرات ... تهاداها الرواة مع الركاب

أسلوبا الأمر والنهي

إنّ من الأغراض التي يُلقى لأجلها الأمر والنهي معنى الدعاء، وذلك حينما يكون صادرًا من الأدنى إلى الأعلى، وبما أنّ الشاعر قد مدح الخلفاء؛ فكان هذا مدعاة لظهور هذا المعنى في شعره، كان المأمون ممدوحه الوحيد من الخلفاء المأمون، وقد وجدنا موضعًا واحدًا حمل معنى الدعاء، وأول ذلك حينما أمر المأمون محمد بن حازم أن يرتجل بيتين من الشعر، فقال (الباهلي، 1982م، صفحة 22) :

أنت سماءٌ ويدي أرضُها ... والأرض قد تأمل غيث السّمـــا
فازرع يداً عندي محمودةً ... تحصد بها في الناس حسن الثّنا

وأمر لي بألفي درهم، وفي هذين البيتين يوجه الشاعر مديحًا يبين فيه الفرق الشاسع بينه وبين الخليفة من حيث المنزلة، كما الفرق بين السماء والأرض؛ والأرض هي التي تكون بحاجة إلى السماء حتى تزهو بخضرائها؛ وقد رسم هذه الصورة مستعينًا بالتشبيه الذي وضح وجه التفاضل بين الطرفين.

ونلاحظ ورود فعل لأمر (ازرع) في مطلع البيت الثاني، موجهًا نحو الخليفة، ولكنّه ليس أمرًا على وجه الحقيقة، بل خرج إلى غرض مجازي هو الدعاء؛ كونه صدر من الأدنى (الشاعر) إلى الأعلى (الخليفة)، فقد خاطبه بما هو أهله " لما يملكه المخاطب من سموّ ورفعة وعلوّ منزلة" (محمود و د.شهد، 2018م)، وكان الهدف من الدعاء الاستعطاف الذي يكسب به ودّ الخليفة؛ " لأن المقام مقام رغبة وطمع في تحصيل المراد" (الحيالي، 2023م، صفحة 87).

ومن أهم أغراض الأمر والنهي النصح والإرشاد الذي قد تعددت شواهده في أشعار محمد بن حازم، وكثيرًا ما بين الأمر والنهي في قصائده، ومما ورد من الأمر قوله (الباهلي، 1982م، صفحة 76):

خذ من العيش ما كفى ... ومن الدّهر ما صفـا
حسُن العذر في الأنا ... م كما استقبح الـوفا
صل أخا الوصل إنّـه ... ليس بالهجر من جفا
عين من لا يحبّ وص ... لك تبـدي لـك الجفـا
خلّ عنك العتـاب إن ... خان ذو الود أو جفـا

تحمل مطالع الأبيات أفعال أمر في طياتها مجموعة من النصائح التي نتجت عن تجربة حياتية كان لها مردودها على الجانب النفسي للشاعر، تتضمن قواعد ومنهج في الحياة، منها الدعوة إلى أخذ الكفاية من الرضا والعيش بنقاء وصفاء ووصل الأصحاب على الرغم من قطيعتهم وترك العتاب وإن كان هنالك خيانة وجفاء، وأفعال الأمر هي (خذ، صل، خلّ)، والشاعر حين وجه الأفعال لسامعه لم يرد من ذلك الاستعلاء عليه، بل أراد تقديم جملة من النصائح والإرشادات.

وقال (الباهلي، 1982م، صفحة 71) :

هوّن عليك فكلّ الأمر ينقطع ... وخلّ عنـك عنـان الهـمّ يندفـع
فـكلُّ همٍّ لـه من بعـده فـرجٌ ... وكـل أمـرٍ إذا مـا ضـاق يتّسـع
إنَّ البلاء وإن طال الزَّمان به ... فالمـوت يقطعه أو سوف ينقطع

إنّ كلام الشاعر يتضمن حتمية جلاء كل بلاء وعدم دوامه؛ وهذا ما يؤكده لفظ (كل) الذي تكرر ثلاث مرات، وهو لفظ فيه معنى العموم والشمول الذي أضيف إلى (الأمر) مرتين، وإلى (هم) مرة واحدة،

فضلًا عن التأكيد بـ(ما، إنّ)، وقد تخلل ذلك أفعال أمرٍ، الهدف منها تقديم النصح والإرشاد لمن بلغ درجة عالية من اليأس والقنوط بالأفعال (هوّن، خلّ).

وقال حازم (الباهلي، 1982م، صفحة 63):

اضرع إلى الله لا تضـرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإنّ العز في اليـاس
واستغن عن كلّ ذي قربى وذي رحم ... إنّ الغنيّ من استغنى عن النّاس
فالـرزق عن قدر يجـري إلـى أجـل ... في كف لا غافل عنـي ولا ناســي
فكيف ابتـاع فـقراً حاضـراً بـغنـى ... وكيف أطـلب حاجـاتي من النــاس

تتوالى أفعال الأمر لغاية إرشادية تبدأ بالفعل (اضرع)، و" إنّ وراء هذا التكرار مقاصد سياقية أهمها الحث على الالتزام" (موفق و أ.م.د. معن، 2019م، صفحة 87)، ويأتي بعده الجر (إلى) الحاملة منتهى البلوغ والقرب، والفعل (اقنع) وبعده حرف الجر (الباء) الذي أفاد التخصيص، ثم الفعل (استغن) وبعده حرف الجر (عن) ودلالته على المجاوزة والبعد، وكل ذلك حمل معاني التقرب أوالبعد في الأمور، بشدة التقرب إلى الله والقناعة التامة، والبعد عن ذوي القربى والاستغناء عنهم؛ غاية الغنى البعد عن الناس والقرب من رب الناس.

وفي البيت الأول يظهر النصح والإرشاد بعدم الضراعة إلى الناس ، مستعينًا بأسلوب النهي في قوله: لا تضرع، وإن " ورود أسلوب النهي على سبيل التأكيد والتحديد لأسلوب الأمر" (أحمد و وسناء، 2019م، صفحة 50).

وقال (الباهلي، 1982م، صفحة 67):

جعلت مطيّـة الآمـــال يأسـاً ... فآوانـي إلـى كـنـفٍ وسيـع
فتلـك مطيـة الآمـــال غفـلٌ ... بـلا رحـلٍ يشـدّ ولا نسـوع
لعمرك، للقليل أصون وجهي ... به في الأوحدين وفـي الجمـيع
أحـبّ إلـي من طلبـي كثيـراً ... تمـدّ إليـه أعنـاق الخـضـوع
فعـش بالقوت يوماً بعـد يـوم ... كمصّ الطفل فيـقات الضـروع
ولا تـرغب إلى أحـدٍ بحـرصٍ ... رفيـع فـي الأنـام ولا وضـيع
وقد رحل الشباب وحلّ شيـبٌ ... فهـل لك في شبابك من رجـوع

يبرز جانب الزهد عند الشاعر في التعفف عن سؤال الناس، ويؤكد ذلك بالقسم (لعمرك) محاولة منه لإقناع سامعه بمدى شناعة طلب ما في يد الناس والخضوع لهم، حتى لو كان شيئًا قليلًا، وهذا يجعل نفسه في راحة وسكينة، بدلالة صيغة التفضيل(أحب).

وبعد أن بين الشاعر موقفه من الطلب، يوجه نصحه لسامعه بأسلوب الأمر والنهي، فيأتي الأمر في البيت الرابع (فعش)، على أن يعيش بالقليل من القوت، ويرسم هذه الصورة مستعينًا بالتشبيه (كمص الطفل فيقات الضروع)، وأما أسلوب النهي ففي البيت الخامس(ولا ترغب)، مقدمًا نصحًا بعدم التذلل لأي شخص كان وضيعًا أو رفيعًا في المنزلة؛ لأن كلّ ذلك يدخل في مسمى السؤال دون جدال أو شك.

وقال (الباهلي، 1982م، صفحة 61) :

فلا تحرصنّ فإنّ الأمور ... بكفّ الإله مقاديرها

فليس بآتيك منهيّها ... ولا قاصر عنك مأمورها

وهنا إرشاد بأسلوب النهي إلى عدم الحرص الشديد على الدنيا وما فيها والرضا بما يقع(فلا تحرصنّ)؛ إذ إنّ الأمور مقاديرها بيد الله تعالى، ثمّ أتى النفي بـ (ليس، لا) من أجل إثبات المعنى وإقراره في نفس السامع.

وقد نجد النصح والإرشاد إلى الخليفة نفسه، كما في قوله للمأمون:

ثم أنشده (الباهلي، 1982م، صفحة 70):

وإذا الكريم أتيته بخديعةٍ ... فرأيته فيما تروم يسارع

فاعلم بأنك لم تخادع جاهلاً ... إن الكريم بفعله يتخادع

ثم طلب المأمون منه أن ينشده مرة أخرى، فقال (الباهلي، 1982م، صفحة 91):

لا ترهقنّك ضجرةٌ من سائلٍ ... فلخير دهرك أن ترى مسؤولا

لا تجبهنّ بالمنع وجه مؤمّل ... فبقاء عزّك أن ترى مأولا

واعم بأنك عن قليل صائرٌ ... خبراً، فكن خبراً يروق جميلا

يلقى الكريم فيستدل ببشره ... وترى العبوس على اللئيم دليلا

فقال: لله درك، ما أحسن معانيك! يا غلام، صك له بمثل ما أعطيناه.

وقد يخرج أسلوبا الأمر والنهي عنده إلى الإنذار والتحذير، كما في قوله (الباهلي، 1982م، صفحة 81):

إن كنت لا ترهب ذمّى لما ... تعلم من صفحى عن الجاهل

فاخش سكوتي آذنا منصتا ... فيك لمسموع خنى القائل

فسامع الشرّ شريك له ... ومطعم المأكول كالآكل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمّه ... ذمّوه بالحقّ وبالباطل

فلا تهج، إن كنت ذا إربة ... حرب أخي التجربة الغافل

فإنّ ذا العقـل إذا هجتــه... هجت بــه ذا خبــل خابــل

تبصر في عاجل شدّاتــه ... عليك غـبّ الضّـرر الآجـل

ينبض النص بمعاني الإنذار والتحذير التي تنطلق إلى مسامع مستقبلها الذي قد تمادى على الشاعر وغره سكوته عن الرد بالمثل، في النص اجتمع أسلوب الأمر والنهي المتضمنان تلك المعاني التي تنهر السامع وتنذره عمّا بدر منه، فنلحظ الأمر في البيت الثاني (فاخش)، وقد وقع فعل الأمر جوابًا للشرط (إن)، وفي البيت السادس جاء اسلوب النهي (لا تهج) إنذار وتحذير بالابتعاد عن الهجاء والسخرية بذي التجربة الغافل الذي يظهر التغافل عنك، والنهي ـ كذلك ـ جواب شرط مقدم؛ من أجل لفت انتباه السامع بعدم التقرب من الهجاء.

وقال (الباهلي، 1982م، صفحة 56):

يا راقــد الــليــل مســـرورا بـــأولــه ... إن الحــوادث قد يطرقن اسحــارا

أفنى القرون التــي كانــت منعــمــة ... كر الجديـديـــن إقبــالاً وإدبـــار

لا تــفــرحـــن بليـل طـــاب أولـــه ... فربّ آخـــر ليـل أجـــج النـــارا

كم قـــد أبادت صروف الدهر من ملك ... قــد كان في الدهر نفاعــاً وضرارا

يا من يعانـــق دنيـــا لا بقـــاء لـهـــا ... يمسي ويصبـح في دنيـــاه سفــارا

هـلا تركـت من الدنيـــا معانـــقـــة ... حتى تعانـق في الفـردوس أبكـارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تـسكنـهـــا ... فينبـغي لـك أن لا تأمـــن النـــارا

يفتتح الشاعر أبياته بالنداء الذي يلفت به انتباه السامع إلى ما سيطرق أذنه من أمر في غاية الأهمية، واصفًا إياه بالراقد، والرقود هو النوم الطويل، ويكرره في الخامس، وأمّا أسلوب النهي التحذيري فكان في قوله: (لا تفرحن)، أي: لا تفرح فرحًا ينسيك الآخرة وما في الدهر من صروف شواهدها القرون الماضية، فإيراد (كم) دلالة على الكثرة والمبالغة في حدوث البلاء، و(هلّا) التي أصلها(هل + لا) جاءت للحض على الإفاقة من الغفلة.

وقوله (الباهلي، 1982م، صفحة 54):

فيا شامتاً مهلاً فكم من شماتة ... تكون لها العقبى لقاصمة الظهر

في البيت محاولة لجذب انتباه السامع؛ وذلك بمجيء النداء في مطلع البيت، كما في المثال السابق، وفعل الأمر محذوف ناب عنه المفعول المطلق (مهلًا) تقديره(تمهل)، وقد حمل الأمر معنى الإنذار بسوء العاقبة التي سوف ينزلق بها الشامت الذي يتربص وقوع الشر على الآخرين، وسوء العاقبة لابد منها بدلالة أداة الاستفهام (كم)؛ لأنها تحمل معنى الكثرة في الحدوث؛ فالكثير من الشامتين كانت عقباها قاصمة الظهر وجالبة للضيق والقهر.

وقال (الباهلي، 1982م، صفحة 46):

زرعنــا فلمّــا سـلّـم الله زرعنــا ... وأوفى عليـه منجـل بحصـاد

بلينا بكوفيّ حليف مجاعة ... أضرّ علينا من دبى وجراد
أتى مستعدًا ما يكذب دونه ...ولج بإرغام له وبعاد
فطورًا بإلحاح عليّ وغلظة ... وطورًا بخبط دائمٍ وفساد
ولولا العباس أعني ابن حامد ... لرحّلته عن تسترٍ بسواد
فكفّوا الأذى عن جاركم وتعلموا ... بأني لكم في العالمين منادي

يبدو الشاعر في قمّة الضجر والضيق النفسي؛ والسبب وراء ذلك ظلم العامل الذي وُلّي عليهم؛ فقد كان يأخذ نسبة عالية من الخراج على زروعهم بعد حصادها، وقد عبّر الشاعر عنه بلفظ المجهول (بُلينا) خوفًا من جور السلطة، ثم يبين أنه لولا موجود العباس بن حامد لما تركه لحظة في جبروته.

ويختتم الشاعر أبياته بأفعال الأمر (فكفوا، وتعلموا) التي تحمل في طيّاتها الإنذار الممزوج بالتهديد، بأنه سيكون شوكة في أعينهم وفاضح لهم في العالمين مدة ظلمهم، ويؤكد ذلك بـ (أنّ) (بأنّي) التي جاء اسمها (ياء) النسبة العائدة على المتكلم (الشاعر)، و(لكم) خاصًا إيّاهم بحرف الجر اللام وميم الجماعة العائد إليهم.

وقد يرتبط الأمر والنهي عند الشاعر بالحسرة والألم (الباهلي، 1982م، صفحة 87):

عهد الشباب، لقد أبقيت لى حزنا ... ما جدّ ذكرك إلّا جدّ لى ثكل
سقيا ورعيا لأيّام الشّباب وإن ... لم يبق منك له رسم ولا طلل
جرّ الزّمان ذيولا فى مفارقه ... وللزّمان على إحسانه علل
وربّما جرّ أذيال الصّبا مرحا ... وبين برديه غصن ناعم خضل
لا تكذبنّ فما الدّنيا بأجمعها ... من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشّيب عيبا عند غانية ... وبالشّباب شفيعا أيها الرّجل

لقد جاءت أفعال الأمر في البيت الثاني محذوفة ناب عنها المفعول المطلق، وفي البيت الأخير (كفاك)، وأما أسلوب النهي في قوله:(لاتكذبن)، فالشاعر يتحسر على ذهاب الشباب والدخول في مرحلة الشيب، وهو لا يأمر أحدًا على وجه الاستعلاء، بل أراد ـ من هذا الطلب ـ إظهار حسرته ولوعته على شبابه.

ومن أغراض الخبر عند الشاعر التخيير الذي ورد في موضع واحد فقط، يروى أنّه كان اسحاق بن أحمد بن نهيك آنسًا بمحمد بن حازم الباهلي يدعوه ويعاشره مدّة، فكتب إليه يستزيره ويعاتبه عتابًا أغضبه، وبلغه أنّه غضب فكتب إليه (الباهلي، 1982م، صفحة 26):

ما مستزيرك فى ودٍّ رأى خللًا ... في موضع الأنس أهلًا منك للَغضب

قد كنت توجب لي حقًّا وتعرف لي ... قدري وتحفظ منّي حرمة الأدب

ثمّ انحرفت إلى الأخرى فأحشمتني ... ما كـــان منـــك بلا جـــرم ولا سبـب

وإنّ أدنى الذي عندي مسـامـــحة ... في حاجتي بعد أن أعذرت في الطلب

فاختر فعندي من ثنتين واحـــدة ... عذر جميل وشكـــر ليـــس باللّعـــب

فإن تجد فكما قـد كنـــت تفعلـــه ... وإن أخـــبْ فبمـــا قـــد خـــطّ بالكتـــب

نلمس من الأبيات مدى شدّة التوتر عند الشاعر الناتج عن تعرضه إلى إساءة على ما يبدو؛ فخطابه ممزوج بالعتاب تجاه إسحاق بن أحمد على الإنزال من شأنه والانحراف عن الجانب الحقيقي في التعامل، وهذا ما نلاحظه في مطلع البيت الثاني والثالث (قد كنت توجب لي حقًا، ثمّ انحرفت إلى الأخرى)، ففي البيت الثاني يبدأ الشاعر بـ(قد +كنت)، ومجيء قد مع الفعل الماضي يحمل معنى التحقيق بوقوع الأمر وتحققه؛ إذ إنّ الشاعر قد تحقق له أخذ الحق والرقد بالمنزلة الرفيعة، وفي البيت الثالث كانت البداية بـ(ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي، دلالة على طول مدّة الإكرام التي أعقبها الجفاء، وبعد هذا العتاب يأتي أسلوب الأمر في البيت الخامس حاملًا معنى التخيير بين الاثنين (الباهلي، 1982م، صفحة 26) :

فاختر فعندي من ثنتين واحدة ... عذر جميلٌ وشكرٌ ليس باللّعب

طالبًا منه اختيار واحدة من اثنتين: العذر الجميل أو الشكر، والملاحظ أنّ فعل الأمر قد جاء باللفظ الحامل للمعنى نفسه(اختر).

الخاتمة

_ تضمن هذان الأسلوبان تجارب حياتية كثيرة كانت انعكاس لما عاشه الشاعر في ما سبق، وهذا ما نجده ظاهرًا في معاني النصح والإرشاد.

_اجتماع الكثير من أفعال الأمر والنهي في القصيدة نفسها، وبالأخص عند تقديم الوعظ الديني الممزوج بطابع الزهد.

_تمثل المرحلة الثانية (المشيب) انعكاسًا نفسيًا محمّلًا بالنظرة المأساوية والسوداوية التي يختلط فيها الحسرة بالألم بعد ذهاب مرحلة الشباب، وهذا ما ظهر جليًا عن طريق أفعال الطلب.

_ حين يوجه الشاعر الطلب للمقابل يوشيه بالمبالغة بحرف الاستفهام (كم) مبالغة في الزيادة والتكثير، وكذلك إيراد حروف التأكيد المختلفة مثل (قد، إنّ، لعمرك، ...)، فضلًا عن هذا مجئ حرف العطف(الفاء) بدلًا من (ثمّ) للسرعة والتعقيب.

References

Mazin, M. (June 29, 2019). Stylistic Rhetoric of Command and Connection in Surat Al-Baqarah - The phrase "Watqoo" as a model. Tikrit University Journal for Humanities, p. 89.

Abu Bakr Al-Baghdadi. (2002). The History of Baghdad, edited by Bashar Ma'ruf (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Ahmed bin Ali Al-Sabki. (2003). The Bride of Joy, edited by Abdul Hamid Hindawi (Vol. 3). Beirut, Lebanon: Al-Maktaba Al-Asriya.

Thana' Ahmed, & Wissam Muhammad. (January 1, 2019). The Style of Prohibition and its Implication in the Hadith, Sahih Muslim as a model. Journal of Islamic Sciences and Research, p. 50.

Khair Al-Din Al-Zirikli. (2002). The Elite (Vol. 5). Beirut, Lebanon: Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Dr. Abdul Mahmoud, & Farid D. Shahid. (June 6, 2018). Constructive Styles of Request in Yazidi Poetry. Tikrit University Journal of Humanities, p. 253.

Diwan Muhammad bin Hazim Al-Bahili. (1982). The Diwan, compiled by Muhammad Khair Al-Baqai (Vol. D.T). Damascus, Syria: Dar Qutaybah.

Abdullah bin Al-Mu'taz. (1976). The Classes of Poets, edited by Abdul Sattar Ahmad (Vol. 2). Cairo, Egypt: Dar Al-Ma'arif.

Ali bin Muhammad Al-Shabashti. (1966). The Monasteries (Vol. D.T). Baghdad, Iraq: Maktabat Al-Muthanna.

Muhammad bin Dawud Al-Jarrah. (No date). The Paper, edited by Abdul Wahhab Azam & Abdul Sattar Ahmad (Vol. 3). Cairo, Egypt: Dar Al-Ma'arif.

Muhammad bin Abdul Rahman Al-Qazwini. (1982). The Clarification, edited by Muhammad Khafaja (Vol. 3). Beirut, Lebanon: Dar Al-Jil.

Muhammad bin Imran Al-Marzubani. (1982). Dictionary of Poets, edited by Kurnku (Vol. 2). Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya.

Mas'ud bin Umar Al-Taftazani. (1411 AH). Abridged Meanings (Vol. D.T). Qom, Iran: Dar Al-Fikr.

Wissam Qasim Al-Hayali. (2023). Characteristics of Constructions in the book "Bahjat Al-Majalis wa-Uns Al-Mujalis wa-Shahd Al-Dhahin wa-Al-Hajis" by Abu Umar Yusuf bin Abdul Bar Al-Qurtubi (d. 463 AH) - A study in the light of the science of meanings, Ph.D. thesis, University of Kirkuk - College of Education for Humanities. Kirkuk, Iraq: Ph.D. thesis.

Yusuf bin Abi Bakr Al-Sakkaki. (1987). The Key to Sciences, edited by Naim Zarzur (Vol. 2). Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya.